

مكاناً فوق أحد الكراسي الجلدية، وانشغل كلياً بتنظيف نفسه - والأمر المعتاد أن يكشف أمرى بسرعة، فيهرب أحدهما وقد وقف شعره، وينبج الآخر. كانت المرأة العجوز قد سبقتني إلى الكلام. ودون أن تتوسل إليّ، أخذت تروي قصة وجودها بقوة، متظاهرة أنها ظننتني صديقاً قديماً لابنها، وأنها لم تعرف للتوّ من أكون. كانت ابنتها تعكف على الموسيقى منذ وفاة الأخ، وذهاب الأب الذي تركها «لتجديد شبابه». لفت نظرها إليّ أنها لم تعد تشاهد في المدينة إلا نادراً. (والواقع أنه لم تعط لي أيّ إشارة إلى حياتها): كلاً، إنها لم تعد تخرج قط. «أتريد رؤيتها؟» عرضت عليّ. نهضت بسرعة، مؤكداً أن ذلك بوجه خاص يجب ألا يحدث. «إنها تحيا وكأنها ميتة»، تابعت كلامها وهي تحدجني عن قصدي.

في لحظة الوداع - وكان عليّ أن أعاود المجيء، وأن ألقى الحقيقة هذه المرة في وجهها، دون أن أستسلم للاندهال بكلامها المشوّش: فهي لا بد تعرف أنني أجوب تلك الأمكنة منذ بعض الوقت - أبصرت على الجدار، فوق صورة الطيار ذي الشاربين الدقيقين، رأس كلب مصغراً، ومعلقاً هناك، كلب يشبه ذاك الذي كان للمضيقة، مجعد الشعر وبنياً. فلما خرجت وقعت في حيرة من أمرى، إذ كنت في حاجة إلى روح عاشرة. فالفتاة لن تعيش من بعد موتها كما أسمعني أمها، وإنها هي نفسها ما كانت تعيش بعد ما حلّ بها من مصائب، إلا لتنفادى وقوعها في برائن اليأس المطلق. وعلى ذلك يمكن تركها لتتطفئ وحدها، كما فكّرت، فمرضها يوشك من جهة ثانية أن يقصفها بقسوة: فالحياة لذوي الصلابة، لا لذوي الأوجاع. مضيت على ذلك إلى بيت المبلّغ، ذاك الذي يذهب من بيت إلى بيت، ليخبر أهل المدينة بميتة الأمس، وبساعة الصلاة الجنائزية. أخبرته أن الناقوس لن يقرع مساءً، حسبها هو مقرر. - ولن